الصورة البيانية في سورة الحديد

خلود ثعبان يوسف نجد الاسدي

ملخص البحث

تعد الصورة البيانية البنية المركزية للشعر وروحه فهي التعبير عن المعنى المقصود بطرق التشبيه والاستعارة والكناية فهي وسيلة الشاعر للتعبير عن افكاره وعواطفه وتجاربه ، وينقل لنا بهذه الصورة البيانية تجربته في حياته النفسية بحيث يؤثر في المتلقي لهذا علم البيان أحد الأركان الهامة في البلاغة العربية ، ونظرا لأهميته في فهم الخطاب القرآني لهذا رأيت أن تكون الصورة البيانية في سورة من سور القرآن موضوعا للبحث ووقع الاختيار على سورة الحديد لما تحويه من صور بلاغية وفيرة وقد قسمنا بحثنا الى مقدمة ،وتمهيد ، وثلاثة مباحث فقد ضم المبحث الاول التشبيه في سورة الحديد، وكان المبحث الثاني من نصيب الاستعارة في سورة الحديد ، واخيرا المبحث الثالث الذي تحدث عن الكناية في سورة الحديد ، وختمت البحث بخاتمة عبارة عن استنتاجات توصلت اليها ، واخيرا قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في رحلة بحثي وارجو من الله السداد والتوفيق في هذا العمل .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد وال محمد وسلم تسليما

اما بعد :

لدراسة البلاغة اهمية كبيرة في حياتنا فهي تساعد على معرفة معاني القران واسرار التعبير وتساعد على اختيار النصوص البليغة والقدرة على انتقاد النصوص الادبية بطريقة صحيحة وخالية من الاخطاء ويتضمن علم البلاغة ثلاث علوم هي علم المعاني والبيان والبديع ويحتوي علم البيان على اركان هي التشبيه والاستعارة والكناية

ولشدة حبي لعلم البيان اخترت هذا العنوان وهو (الصورة البيانية في سورة الحديد) فكان البحث على ثلاثة مباحث تقدمها تمهيد تحدثت فيه عن اهمية البحث والدراسات السابقة ومصادر الدراسة ثم تطرقت الى معلومات عن سورة الحديد من حيث عدد اياتها وفضلها

وتضمن المبحث الاول عن التشبيه في سورة الحديد وكان المبحث الثاني الاستعارة في سورة الحديد وتناولت في المبحث الثالث الكناية في سورة الحديد وختمت البحث بخاتمة وضحت فيها اهم النتائج المستخلصة من البحث ثم قائمة المصادر والمراجع. و من الله التوفيق والسداد .

التمهيد

هذا البحث يدور حوال سورة الحديد متناولة اياها بالدراسة من الناحية البلاغية في موضوع الصورة البيانية والتي نقصد بها " التعبير عن المعنى المقصود بطريق التشبيه او المجاز او الكناية او تجسيد المعاني "1

والصورة هي : " الشكل الذي يتميز به الشيء او ما قابل المادة وترد الصورة في كلام العرب على ظاهرها وعلى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته يقال : صورة الفعل كذا او كذا أي هيئته ، صورة الامر كذا او كذا أي صفته "2

و" الصورة الفنية اهم ما يعنى به النقد الادبي الحديث وكان العرب قد ذكروها من خلال دراستهم للتشبيه والمجاز واولع المعاصرون بالصورة الشعرية لأنها الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة وتحدثوا عنها بإسهاب واختلفوا في تعريفها فهي عند الرومانسيين تمثل المشاعر والافكار الذاتية وعند الرمزيين تنقل المحسوس الى عالم الوعي الباطني وهي رسم قوامه الكلمات او هي تجسيم لمنظر حسي او مشهد خيالي يتخذ اللفظ اداة له والصورة عنصر من عناصر بناء القصيدة او النص وهي تعكس ما يحس به الشاعر من امتزاج بين الفكرة التي يريد التعبير عنها والعاطفة التي تضيف الى الواقع ما تضيف أي ان العمل الفني ليس انفصالا بين الصورة والشعور او الفكرة "3

ولقد ورد معنى البيان في اللغة انه: " الوضوح والكشف والظهور وفي اصطلاح البلغاء اصول وقواعد يعرف بها ايراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى ولابد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما وله اهمية وهو الوقوف على اسرار كلام العرب ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها الى مرتبة اعجاز القران الكريم الذي حار الجن والانس في محاكاته وعجزوا عن الاتيان بمثله "4

وهكذا فأن "البيان العربي يتواصل حلقة بين تراث الامة العربية وثقافتها المعاصرة كما يضيء نبراسا نحو المستقبل الزاهر في استمرار اصالة هذه الامة ودورها الرائد في بناء الانسان العربي فكريا وروحيا ولهذا سندرس التشبيه والاستعارة والكناية"5

سورة الحديد وعدد آياتها وفضلها :

سورة مدنية وعدد آياتها 29اية وترتيبها في المصحف 57 وهي آخر سورة في الجزء السابع والعشرين اذ نزلت هذه السورة في المدينة وادعى البعض الاجماع على ذلك لذا فان خصائصها هي نفس خصائص السور المدنية فأنها بالإضافة الى تحكيم الضوابط العقائدية وهي تستعرض تعليمات عملية عديدة خصوصا في المجالات الاجتماعية والحكومية

وتتحدث سورة الحديد عن " توحيد الله وصفاته وعن عظمة القران الكريم ويستعرض وضع المؤمنين والمنافقين في يوم القيامة وتتحدث عن الدعوة الى الايمان بالله والخروج من الشرك وعن مصير الاقوام الضالة من الامم السابقة وجزء من الآيات يتحدث حول الانفاق في سبيل الله وتحدثت عن سلبية الرهبانية والانزواء الاجتماعي وذلك يمثل ابتعاد عن الخط الاسلامي وسميت بسورة الحديد لما جاء في الآية 25من السورة من ذكر كلمة الحديد ورد في فضل سورة الحديد قول الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم " من قرأ سورة الحديد كتب من الذين أمنوا بالله ورسوله "6

ووردت في الروايات الاسلامية نقاط جديرة بالملاحظة حول فضل تلاوة سورة الحديد ومما لا شك فيه ان المقصود في التلاوة هي التدبر والتفكر الذي توأما مع العمل ، "قال رسول الله :(صلى الله عليه واله وسلم) من قرأ سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسوله ونقل في حديث اخر عن الرسول الكريم انه كان يتلو المسبحات قبل النوم والمسبحات هي السور التي تبدأ ب سبح لله او يسبح لله وهي خمس سور : سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن ويقول : ان فيهن اية افضل من الف اية " 7

المبحث الاول

التشبيه في سورة الحديد

التشبيه في اللغة هو " التمثيل ففي لسان العرب الشبه والشبه التشبيه المثل واشبه الشيء ماثله وفي المثل من اشبه اباه فما اظلم والتشبيه التمثيل " 8

واصطلاحا : " هو مشاركة امر لأمر في معنى بأدوات معلومة "ما لم تكن هذه المشاركة على وجه الاستعارة واركانه اربعة :المشبه والمشبه به والاداة ووجه الشبه"9

والتشبيه " لون من الوان التعبير الجميل المؤثر تعتمده النفوس البشرية بالفطرة حين يدعوها الى ذلك غرض او اخر من اغراضه التي رصدها البلاغيون القدامى والمعاصرون فرسخوا بخصوبتها وغناها افاقه الرحبة التي اتسعت لفئات الامة وطبقاتها في تحقيق ماربهم الفكرية " 10

" التشبيه باعتبار طرفيه :

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه الى ثلاثة اقسام رئيسية تدور حولها الدراسة هي حسي وعقلي ومختلف ، فالتشبيه الحسي: هو كل تشبيه يمكن ادراك طرفيه المشبه والمشبه به بإحدى الحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس اما العقلي فهو ما تعذر ادراك طرفيه بإحدى الحواس الخمس بل وانما يمكن ادراكه بالتفكير وإعمال العقل ،والمختلف هو ما كان احد طرفيه حسيا والاخر عقليا وفي ذلك يقول صاحب الايضاح اما طرفاه فهما اما حسيان كما في تشبيه الخد بالورد .....واما عقليان كما في تشبيه العلم بالحياة واما مختلفان والمعقول هو المشبه كما في تشبيه المنية بالسبع او بالعكس كما في تشبيه العطر بخلق كريم "11

ونحن نعلم ان " علم البيان يبحث في وسائل التصوير الفني والتي تعارف البلاغيون على انها التشبيه والاستعارة والكناية مع اقامة فواصل منطقية بين كل واحدة منها والصورة الشعرية خلق جديد من العقل والخيال وهي تعبير لعوالم يفجرها الشاعر فمثلا التشبيه ليس الا دعوة دخول المتلقي الى ما ورائيات الاشياء وتوجه اليه ليحتضن في تعاطف مختلف الايحاءات التي تظل تحوم على آفاق الصورة التشبيهية ليحاول اقتناص ما أمكنه من طيورها المحلقة" 12

انواع التشبيه :

" التشبيه المرسل والتشبيه المؤكد والتشبيه البليغ والتشبيه التمثيلي والضمني

التشبيه المرسل : هو ما ذكرت أداته .

والتشبيه المؤكد : هو ما حذفت أداته

التشبيه البليغ : هو الذي حذف منه وجه الشبه والاداة معا وهذا دلالة على انه اوجز من سائر انواع التشبيه وابلغ منها تأثيرا .

التشبيه التمثيلي : ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد .

التشبيه الضمني : هو التشبيه الذي لا يأتي فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة والواضحة بل يأتيان في سياق التركيب وهذا يدل على تفنن الشاعر في اساليب الابتكار والتجديد " 13

وبعد هذه الكلمات المختصرة عن ماهية التشبيه ومدى بلاغته يفرحنا ان نستنشق عطر هذا اللون البياني في سورة الحديد ونحدد المشبه والمشبه به ووجه الشبه وادوات التشبيه ونرى جمال بلاغة القران .

التشبيه في سورة الحديد

تمثل التشبيه في سورة الحديد في الآيات 16 ، 21 ، 22 وسنفصل الحديث عنهم

ففي قوله تعالى :" **ألم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون "14**

في الآية الكريمة عتاب للمؤمنين على ما عرض لقلوبهم من القسوة وعدم خشوعها اذكر الله والحق النازل من عنده تعالى وتشبيه حالهم بحال اهل الكتاب الذين نزل عليهم الكتاب وطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقد اشار سبحانه بهذا الكلام الى صيرورة قلوبهم كقلوب اهل الكتاب القاسية والقلب القاسي حين يفقد الخشوع والتأثر عن الحق ربما خرج عن زي العبودية فلم يتأثر عن المناهي واقترف الاثم والفسوق ولذا اردف قوله فقست قلوبهم بقوله " وكثير منهم فاسقون " 15

فالمشبه / المؤمنون ، و المشبه به / الذين اوتوا الكتاب ، و اداة التشبيه / الكاف ووجه الشبه / القساوة وعدم الخشوع ، ونوع التشبيه المرسل لان الاداة موجودة .

نعم ألم يحن لهذه القلوب ان تخشع لذكر الله وحذرهم بأن لا يشبهوا الذين أوتوا الكتاب فهنا التشبيه منتزع من حقيقة وهي اذا استمروا في بعدهم عن ذكر الله فأنهم سيكون مصيرهم مثل اهل الكتاب الذين قست قلوبهم بسبب ابتعادهم عن ذكر الله وانشغالهم بالدنيا .

والآية الاخرى التي ورد فيها التشبيه هي قوله تعالى : " **اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** " 16

ورد في الآية عدة تشبيهات وهي

" اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو ....."

اللعب عمل منظوم لغرض خيالي كلعب الاطفال واللهو ما يشغل الانسان عما يهمه والزينة بناء نوع وربما يراد به ما يتزين به وهي ضم شيء مرغوب فيه الى شيء اخر ليرغب فيه بما اكتسب به من الجمال والتفاخر بالأنساب والاحساب والتكاثر بالأموال والاولاد فالمشبه / الحياة الدنيا ، والمشبه به / اللعب واللهو ، وجه الشبه / الانشغال بهوى الدنيا ، ونوع التشبيه مؤكد لأن حذفت اداته .ولعلنا نستفهم لماذا شبه الله الحياة الدنيا باللهو واللعب وغيرها من الامور نقول ان الدنيا تستحق ان تشبه بهذه الصورة لأن الذي يكون هدفه فيها فقط وصوله للمتعة الجسدية والنفسية من لعب ولهو وتفاخر وتكاثر طبعا ستكون له الدنيا هكذا فقط ولكن ليس هذا سبب الوجود في الدنيا انما لغاية العبادة وايصال الروح للكمال النسبي .

وقوله تعالى " **كمثل غيث اعجب الكفار نباته ....."**

هنا التشبيه تمثلي فقد مثل لزينة الحياة الدنيا التي يتعلق بها الانسان غرورا ثم لا يلبث دون ان يسلبها والغيث المطر والكفار جمع كافر بمعنى الحارث ويهيج من الهيجان وهو الحركة والحطام الهشيم المتكسر من يابس النبات

والمعنى : " ان مثل الدنيا في بهجتها المعجبة ثم الزوال كمثل مطر اعجب الحراث نباته الحاصل بسببه ثم يتحرك الى غاية ما يمكنه من النمو فتراه مصفر اللون ثم يكون هشيما متكسرا "17 فالمشبه / لهو الدنيا ، والمشبه به / غيث، و اداة التشبيه / الكاف ،ووجه الشبه / الإغترار بلهو الدنيا ، ونوع التشبيه تمثيلي ، ثم عاد القرآن ليستمر في اعطاء الصور التشبيهية فقد شبه الغيث بلهو الدنيا وهي الامطار التي تنبت الزرع وتجعله بمنظر جميل يعجب الناظر ويلهيه هذا المنظر عن فكرة زواله وعدم خلوده وعلى حين غفلة يهيج الزرع فتراه مصفرا ، ثم يذكر تشبيه اخر وهو " وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور " وهو تشبيه مؤكد حذفت اداته فقد شبه الركون للدنيا مثل متاع الغرور أي خدعة مضمحلة فانية غير ازلية فهي تغر المؤمن وتجعله يشعر انها باقية ، اذن وردت في هذه الآية ثلاثة تشبيهات الصورة الجامعة بينهم هو ان الدنيا مجرد سراب سرعان ما تكشف حقيقته ولكن بعد فوات الاوان فحذرنا من خلال هذه التشبيهات الدقيقة ان لا نركن لها وهذه الصور التشبيهية توضح لنا مدى محبة الله لنا فهو يدعونا اليه لما ينفعنا في الدنيا والاخرة ومن جهة اخرى يحذرنا من الدنيا ان لا تكون هي شغلنا في حياتنا فرسم هذه الصور التشبيهية ليحذرنا من الانشغال بالدنيا .

ويجدر بنا ان نذكر انه ورد ذكر الحياة الدنيا واحوالها في القران الكريم في مواضع كثيرة منه جاء بعضها على طريق التشبيه التمثل وبعضها غير طريق التشبيه أي بأساليب متنوعة تتلاءم مع السياق الذي وردت فيه " فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل " وانه متاع الغرور وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

ويلاحظ هذا التشبيه يؤكد "ان الحياة الدنيا آيلة الى الفناء سريعة الانقضاء ومع ذلك فالإنسان قوى الفتنة غافل عن حقيقتها وقد تحمله فتنته وإغتراره بها الى ان يظن القدرة عليها او يفاخر بها على فقراء المسلمين او يشغله العجب بها عن طاعة الله والانفاق في سبيله حتى تنتهي هذه الدنيا وتتجلى حقيقتها الفانية اما بعقوبة من الله او باستدراج الله لهم "18

و الآية الاخرى التي ورد فيها تشبيه هي قوله تعالى " **سابقو الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** " 19

المسابقة هي المغالبة في السبق للوصول الى غرض بان يريد كل من المسابقين جعل حركته اسرع من حركة صاحبه ففي معنى المسابقة ما يزيد على معنى المسارعة فان المسارعة الجد في تسريع الحركة والمسابقة الجد في تسريعها بحيث تزيد في السرعة على حركة صاحبه .....والمراد بجنة عرضها كعرض السماء والارض المراد من العرض ابلغ من ذكر الطول معه فان العرض اقصر الامتدادين واذا كان كعرض السماء والارض كان طولها اكثر من طولهما .....

وفي الحقيقة "ان مغفرة الله هي مفتاح الجنة تلك الجنة التي عرضها كعرض السماوات والارض وقد اعدت لضيافة المؤمنين والعرض هنا بمعنى السعة" 20

المشبه / الجنة، و المشبه به / عرض السماوات والارض ، واداة التشبيه / الكاف ووجه الشبه / سعة وجمال الجنة ، ونوع التشبيه مرسل لوجود الاداة .

كل عمل خير نعمله في الدنيا سيكون له جزاء في الاخرة الجنة التي شبهها الله بأن عرضها كعرض السماوات والارض من باب تقريب الصورة لنا والمبالغة في الوصف بالسعة للجنة وذلك لأنه لا شيء عندنا اعرض منهما

والا هي اعظم واعرض من ذلك لكنه اراد حثنا الى المسابقة الى الاعمال الصالحة فيكون الجزاء جنة رحبة وواسعة .

المبحث الثاني

الاستعارة في سورة الحديد

الاستعارة في اللغة "من قولهم استعار المال اذا طلبه عارية " 21

اما في اصطلاح البلاغيين فهي : "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن ارادة المعنى الاصلي والاستعارة ليست الا تشبيها مختصرا لكنها ابلغ منه " 22

والاستعارة "بعد ذلك تفيد شرح المعنى وتفعل في النفس ما لا تفعله الحقيقة وتفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه والايجاز وتحسين المعنى وابرازه ثم هي الى جانب ذلك كله طريق للتوليد والتجديد لأنها تكشف عن صور جديدة وعان بعيدة" 23

وللاستعارة ثلاثة اركان :

1_ مستعار منه : وهو اللفظ الذي تستعار منه الصفة او الكلمة وهو بمنزلة المشبه به

2_ومستعار له : وهو اللفظ الذي تستعار له الصفة او الكلمة وهو بمنزلة المشبه

3_ ومستعار : وهو اللفظ المنقول من المستعار منه الى المستعار له وللاستعارة اهمية كبيرة في كلام العرب قديما وحديثا فهي ميدان فسيح من ميادين البلاغة وهي ابلغ من التشبيه لأنها تضع امام المخاطب بدلا من التشبيه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة وسمو الخيال تكون البلاغة" 24

"الاستعارة التصريحية : هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه

الاستعارة المكنية : هي التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه " 25

المظاهر الحقيقية لبلاغة الاستعارة وجمالها لعلنا نلاحظ هنا ان قواعد بيان حسن الاستعارة بالإضافة الى ما قدمنا تغفل قضية الابداع في صياغة الاستعارة وتهمل دور الخيال في اتخاذها وسيلة للتعبير بالتصوير وللتأثير بشحناتها النفسية وومضاتها الحسية والفكرية النابغة عن التجربة الصادقة

والاستعارة بعد ذلك تفيد شرح المعنى وتفعل في النفس ما لا تفعل الحقيقة وتفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه والايجاز وتحسين المعنى وابرازه ثم هي الى جانب ذلك كله طريق للتوليد والتجديد لأنها تكشف عن صور جديدة ومعان بعيد 26

الاستعارة في سورة الحديد:

ونرى الاستعارة في سورة الحديد في الآيات 4، 10،11،18، 25،29

الآية قوله تعالى " **هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير** "27

"استوى على العرش كل صفة يثبتها الله لنفسه وللمخلوق مثلها فإن ذلك موافقة للاسم فقط اما في الحقيقة فليس كمثله شيء (استوى على العرش) استوى عليه يعني على وجه يليق بجلاله ولا يمكن ان نمثله بخلقه لان الله ليس كمثله شيء والعرش مخلوق عظيم لا يعلم قدره الا الذي خلقه ....." 28

وفي الميزان يقول السيد : "الاستواء على العرش يدل على الاخذ في تدبير الملك ولذا عقبه بالعلم بجزيئات الاحوال لان العلم من لوازم التدبير" 29

نوع الاستعارة تصريحية فقدرة الله وسيطرته على الكون كالاستواء على العرش وهذا من باب الاستعارة فنحن نعلم ان الله لا يحتاج الى عرش كي يبسط سيطرته على خلقه فهو لا يحده حد ولا نقول اين الاين فلا مكان يحده لكنه اراد توضيح سيطرته وتدبيره للكون مثل الملك الذي له عرش فكانت الاستعارة لتقريب الصورة في ذهن المتلقي ليس الا لهذا صرح بالمشبه به لتوضيح الامر واهميته .

و الآية في قوله تعالى " **وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والارض لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** "30

والآية قوله تعالى " **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم "31**

ولله ميراث السماوات والارض .... يعني : "يفني الخلق ويبقى هو والمعنى فيه ان الدنيا واموالها ترجع الى الله فلا يبقى لاحد فيها ملك ولا امر كما يرجع الميراث الى مستحقيه فاستوفوا حظكم من اموالكم قبل ان تخرج من ايديكم" 32

فقد استعار الباري لفظة ميراث ونسبها اليه وهو غني عن العالمين من ان يرث احدا ولكنه قصد ان السماوات والارض راجعتان اليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث الى المستحق له فيقول للمؤمنين ان ينفقوا من اموالهم لأنهم سيرثون ما ينفقون في الاخرة بعد موتهم .

والآية " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ..."

والآية قوله تعالى " **ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم** "33

لغرض الحث على ضرورة الانفاق في سبيل الله ومن خلال تعبير رائع يؤكد سبحانه ذلك في الآية مورد البحث بقوله " فيضاعفه له وله اجر كريم "

نوع الاستعارة هنا تصريحية فقد جعل من الاموال التي ينفقها المؤمنون في سبيل الله كالقرض الذي يقرضوه له وسيكون لهم جزاء باهر يوم القيامة .

انه تعبير عجيب حقا حيث ان الله الواهب لكل النعم وجميع ذرات وجودنا هي من بحر فيضه اللامتناهي و بالإضافة الى اننا عبيد له يعبر عنا باننا اصحاب الاموال ويدعونا لإقراضه ضمن شروط مغرية حيث ان السائد ان الديون العادية تسترجع بنفس مقاديرها الا انه سبحانه بفضل منه يضاعفها لنا بالمئات احيانا وبالآلاف احيانا اخرى .....

ففي هذه الآية ورد تعبير" مرهف بالحساسية حيث يعتبر الله سبحانه الانسان هو المقرض وانه تعالى هو المستقرض وليس في هذا القرض ربا بل فيه ارباح مضاعفة واحيانا مضاعفة بالآلاف عوض هذا القرض بالإضافة الى الجزاء العظيم الذي لا نستطيع تصوره ان هذا كله لإزالة النظرات الخاطئة والمنحرفة ودوافع الحرص والحسد وحب الذات وطول الامل التي تمنع من الانفاق لتكوين مجتمع على اسس ودية وتعاون عميق وروح اجتماعية بناءة "34

الآية **قوله تعالى " لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز** " 35

اخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى " وانزلنا معهم الكتاب والميزان " قال :العدل ، واخرج الفارابي وعبد بن حميد عن مجاهد في قوله تعالى " **وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس** " "قال : جنة وسلاح "36 ، والبينات هي الدلائل الواضحة ولها معنى واسع يشمل المعجزات والدلائل العقلية التي تسلح بها الانبياء والرسل الالهيون، و المقصود من الكتاب هو "نفس الكتب السماوية ولان روح وحقيقة الجميع شيء واحد لذا فان التعبير ب (كتاب) جاء بصيغة مفرد ،واما الميزان فيعني وسيلة للوزن والقياس ومصداقها الحسي هو الميزان الذي يقاس به وزن البضائع ومن الواضح ان المقصود هو المصداق المعنوي أي الشيء الذي نستطيع ان نقيس به كل اعمال الانسان وهي الاحكام والقوانين الالهية او الافكار والمفاهيم الربانية او جميع هذه الامور التي هي معيار لقياس الاعمال الصالحة والسيئة "37 ، ولا يبعد ان يراد بالميزان" الدين هو الذي يوزن به عقائد اشخاص الانسان واعمالهم وهو الذي به قوام حياة الناس السعيدة مجتمعين ومنفردين وهذا المعنى اكثر ملائمة للسياق المتعرض لحال الناس من حيث خشوعهم وقسوة قلوبهم وجدهم ومساهلتهم في امر الدين وقيل المراد بالميزان هنا العدل وقيل : العقل " 38

لقد استعارة لفظة الميزان ليوضح العدل الالهي فجعل العدل كالميزان وهي استعارة تصريحية رغم الاختلاف في معنى الميزان عند المفسرون منهم من قال العدل واخرون الدين او العقل الذي يهمنا انهم تم تشبيههم بالميزان .

والآية " .....**وان الفضل بيد الله ...."39**

"انه جواب لهؤلاء الكتابيين الذين زعم قسم منهم : ان لهم اجرا واحدا كبقية المسلمين حينما رفضوا الايمان بالرسول واما الذين امنوا بالرسول منهم فلهم اجران

اجر الايمان بالرسل السابقين واجر الايمان بمحمد حيث يجيبهم القران ويرد عليهم بان المقصود بالآية هم المسلمون ...ذلك ليعلموا ان الرحمة الالهية ليست في اختيارهم حتى يهبوا ما يشاؤون منها وفق مشتهياتهم ويمنعوها عن الاخرين"40

لقد استعارة لفظة اليد لله ونحن نعلم انه منزه عن التجسيم فهو ليس كمثله شيء لكنه قصد ان عطاء الله وقدرته كاليد التي تقدر على العطاء والمنح لمن يشاء غير مخصصة لأهل الكتاب فقط بل لمن شاء من عبيده . وهي استعارة تصريحية .

المبحث الثالث

الكناية في سورة الحديد

الكناية : " لغة الستر تكنى أي تستر من كنى اذا ورى "41

اصطلاحا : " الكناية ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيؤمىء به اليه ويجعله دليلا عليه ، وتتألف الكناية في بنائها التعبيري من ثلاثة اركان :

1_ المكنى به وهو دلالة اللفظ الظاهرة تقوم دليلا على مراد المتكلم .

2_ المكنى عنه وهو المعنى اللازم للمكنى به الذي يرمي اليه الناطق بالكناية .

3_ القرينة العقلية التي يفرزها سياق الكلام لترشد الى المكنى عنه وتمنع ارادة المعنى المكنى به وانواع الكناية :

1_ الكناية عن الموصوف وهو المراد به غير صفة ولا نسبة

2_ الكناية عن النسبة وهي ان يأتي بالمراد الى امر يشتمل عليه من هي له حقيقة والغاية منها تخصيص صفة او مجموعة صفات بموصوف .

3_ الكناية عن الصفة المراد الصفة المعنوية كالجود

وقسم البلاغيون الكناية في ضوء السياق الذي يفهم منها وفي ضوء الوسائط الى التعريض والتلويح والرمز

فالتعريض يشار به الى معنى آخر يفهم من السياق ومن ظرف القول

التلويح الكناية التي بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط في كثير الرماد مثلا

الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم حيث قلت الوسائط فيها مثلا عريض القفا كناية عن البلادة " 42

وتدعونا الاسباب للتعبير " بالأسلوب الكنائي بدلا من الاسلوب الصريح لان الاسلوب الكنائي يستعمل احيانا للستر والخفاء في المعاني التي يجمل اخفاؤها وعدم التصريح بها لمنافاتها الذوق السليم على ألا يؤدي هذا الخفاء والستر الى التعمية والتعقيد. والكناية تجسيم المعاني فتضعها في صورة حسية ملموسة تتضح في اساليب كثيرة تصور المعنويات وتجسمها في صورة حسية تروق وتعجب القارىء بل وتبهره لأن القارىء يرى ما كان يعجز عن رؤيته فيتضح له ما خفي عنه بجلاء ووضوح وهذه مقدرة عظيمة في الكناية ومرتبة عالية من البلاغة والبيان .

ولا يوجد اعظم من القرآن في اساليبه الكنائية فهي تدل دلالة قاطعة على عدة جوانب نفسية توخى القرآن مراعاتها والحفاظ عليها تكريما للألفاظ واحتراما للكلمات ومراعاتها لأدب النفوس ويدل هذا على اهمية الكناية في التعبير القرآني وعند العرب وانها تحتل مكانة عالية بين الاساليب لان المعنى الذي اتى بها من اجله هو الاجمال في الخطاب والدفع بالتي هي احسن والتجنب للهجن من القول اذ هو ارسخ في الالفة بين الناس وامكن للهدف المقصود 43 "

الكناية في سورة الحديد :

وردت الكناية في سورة الحديد في آيات معينة ومنها :

الآية قوله تعالى " **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور** " 44

"بالتدريج ينقص احد الوقتين (الليل والنهار) ليضيف للأخر وتبعا لذلك يتغير طول النهار والليل في السنة وهذا التغير يكون مصحوبا بالفصول الاربعة في السنة مع كل البركات التي تكون مختصة في هذه الفصول لبني الانسان ....فكما ان اشعة الشمس الباعثة للحياة تنفذ في اعماق ظلمات الليل وتضيء كل مكان فان الله ينفذ كذلك في كل زوايا وروح الانسان ويطلع على كل اسراره ....وكلمة (ذات) في الاصطلاح الفلسفي تعني (عين الشيء وحقيقته) الا انها في اللغة بمعنى صاحب الشيء وبناء على هذا فان ذات الصدور اشارة الى النيات والاعتقادات التي استولت على قلوب البشر " 45

الكناية هنا في ذات الصدور كناية عن ما في قلوب الناس فهو بعد ان تحدث عن كيفية دخول وقت الليل والنهار بين انه يستطيع بقدرته ان يعلم ما يضمره البشر فقال ذات الصدور اي الناس. وهي كناية عن موصوف .

الآية في قوله تعالى " **هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم "46**

الى " نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته" 47 الكناية هي في يخرجكم من الظلمات الى النور كناية عن خروج المؤمن من ظلمات الكفر الى نور الايمان .فبدلا ان يصرح بالإيمان كلفظة كنى بدلا منها بالنور وفعلا المؤمن يحس بنور في قلبه ليس كضوء بل كمرشد يرشده لطريق الخير وهذا يؤدي لشعور بالراحة كالشخص الذي يدخل غرفة مضيئة يرتاح للنور أما ظلام الكفر غير ذلك تماما .

الآية في قوله تعالى " **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبإيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم " 48**

.ذكر المفسرون احتمالات متعددة لهذا النور المقصود " منه تجسيم نور الايمان لأنه سبحانه عبر بنورهم ولا عجب لأن في ذلك اليوم تتجسد اعمال البشر فيتجسد الايمان الذي هو نور هدايتهم بصورة نور ظاهري ويتجسد الكفر الذي هو الظلام المطلق بصورة ظلمة ظاهرية كما نقرا في الآية الكريمة (يوم لا يخزي الله النبي والذين معه نورهم يسعى بين ايديهم) ....كما يوجد احتمال انه النوريين اشارة الى مجموعة واحدة وما يقصد بنور اليمين هو كناية عن النور الذي يصدر عن اعمالهم الصالحة ويضيء جميع اطرافهم وعلى كل حال فان هذا النور هو دليلهم الى الجنة وعلى ضوئه يسيرون بسرعة اليها " 49

لقد كنى عن اعمالهم الصالحة بالنور الذي بين ايديهم فبدلا ان يقول اعمالهم صالحة قال نورهم يسعى لقد تجسدت اعمالهم بشكل نور بهي .

الآية في قوله تعالى : " **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** " 50

فضرب بينهم بسور له باب " يعني بالسور حائط بين اهل الجنة والنار (باب باطنه) يعني باطن السور (فيه الرحمة) مما يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم وهو الحجاب الذي ضرب بين اهل الجنة واهل النار" 51

وقوله تعالى " **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** " 52 "

سور المدينة حائطها الحاجز بينهما وبين الخارج منها والضمير في (فضرب بينهم بسور) راجع الى المؤمنين والمنافقين جميعا أي ضرب بين المؤمنين وبين المنافقين بسور حاجز يحجز احدى الطائفتين عن الاخرى

قيل : السور هو الاعراف وهو غير بعيد وقوله (له باب) أي للسور باب وهذا يشبه حال المنافقين في الدنيا فقد كانوا فيها بين المؤمنين لهم اتصال بهم وارتباط وهم مع ذلك محجوبون عنهم بحجاب على انهم يرون اهل الجنة ويزيد بذلك حسرتهم وندامتهم " 53

لقد كنى عن الجنة بالرحمة فبدلا من ان يقول الجنة قال الرحمة وهي فعلا رحمة فنحن ندخلها ليس بعملنا القاصر للوصول اليها بل برحمة الله الواسعة ، وقد كنى عن الجحيم بالعذاب وهذا فعلا نصيب الذي لا يؤمن بالله ويعصي أوامره ،وقد كنى عن الاعراف بالسور ونحن نعرف ان الاعراف مكان للذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وهو سور عالي يطلع اصحابه على اهل الجنة والنار لهذا بدلا ان يقول الاعراف كنى عنه بسور .

الخاتمة

بعد ان انتهيت من كتابة هذا البحث تحت الموضوع (الصورة البيانية في سورة الحديد) استنتجت كما يلي :

تتكون السورة القرآنية من عناصر متنوعة ، كالعنصر البنائي والعنصر الايقاعي والعنصر الصوري الذي نحن بصدد البحث فيه ، وان الصورة البيانية تتكون من التشبيه والاستعارة والكناية وكانت الصورة التشبيهية تضم التشبيه المرسل لان الاداة كانت موجودة والمؤكد الذي حذفت اداته والتشبيه التمثيلي وقد صورها بشكل دقيق وقريب للحقيقة ، وكان للاستعارة حضور في السورة والاغلب الاستعارة التصريحية وكان للكناية وجود فيها .

ولقد كانت الصورة الاستعارية هي الغالبة على الصورة التشبهية والكنائية .ولعل السبب من وجهة نظري ان الاستعارة لها من التأثير على النفس يكون اكثر بلاغة وتأثير بالنفس ولاسيما اذا كان يتناسب مع غرض الآية والهدف الذي اراده الله منها .وفي نهاية بحثي اقول ارجو ان اكون قد وفقت في ايصال الصور البلاغية للمتلقي بشكل واضح ومفيد والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد واله الطيبين الميامين .

المصادر والمراجع

1_ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، كامل المهندس ومجدي وهبة ط2 ،1984 ، ص200.

2_ النهاية في غريب الحديث والأثرج3، ابو السعادات المبارك محمد بن الأثير ، تح / طاهر احمد ، 1963، ص58.

3_ الصور الشعرية ، احمد مطلوب ، ص25، 28.

4_ جواهر البلاغة ج1 ، احمد الهاشمي ، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 2008، ص165.

5_ البلاغة والتطبيق ، احمد مطلوب ، ط3، ، 2011، مطابع بيروت الحديثة ، ص255.

6- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج13، ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الاعلمي ، 2013، ط1، ص487.

7_ المصدر نفسه ، ص487

8_ لسان العرب ج7، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر ـبيروت ،ط3، مادة شبه .

9_ جواهر البلاغة ، ص168.

10_المصدر نفسه ص169.

11_ البلاغة والتطبيق ، ص303.

12_ فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ، ط2 ، منشأة لمعارف الاسكندرية ، ص254، 256.

13_ البلاغة والتطبيق ن ص286، 291.

14_سورة الحديد : 16.

15_ الميزان في تفسير القرآن ج10 ، ص127.

16_سورة الحديد :20.

17_الميزان في تفسير القرآن ج10، ص127.

18_رسالة اسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم ، ملك حسن عبد الرزاق ، جامعة ام القرى ، ص2.

19_ سورة الحديد : 22.

20_ ينظر : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ج13، ص524، والميزان في تفسير القرآن ج10، ص128.

21- لسان العرب ،مادة اعار .

22_ جواهر البلاغة ، ص198.

23_البلاغة والتطبيق ، ص355.

24_جواهر البلاغة ، ص267.

25_البلاغة والتطبيق ، ص342

26- المصدر نفسه ، 355.

27_ سورة الحديد : 4.

28_مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ، تح / عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ص313.

29_ تلخيص المفتاح ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، ص150.

30_ سورة الحديد : 10.

31_ سورة الحديد : 11

32- علم البان ، عبد العزيز عتيق ، دار الفكر ، ص156.

33_ سورة الحديد : 18.

34_دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، مكتبة الخانجي ، 2009، ص462ز

35_ سورة الحديد :25.

36_ تفسير القرآن الكريم ، الشيخ محمد بن صالح ، دار الثريا ط1 ، 2004، 357

37- الميزان في تفسير القرآن ، ج10، ص143.

38_ مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسي ، ص297.

39_ سورة الحديد : 29.

40_ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ص504.

41_ لسان العرب ج1، ص147.

42_ البلاغة والتطبيق ، ص358، 360، 361.

43-الكناية والتعريض ، لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تح/ عائشة حسن فريد ، ص45، 52.

44_ سورة الحديد : 6.

45_ صناعة الكتابة ، اسعد احمد علي ، ط4، دمشق 1981، ص353.

46_ سورة الحديد : 9.

47_مفتاح العلوم ،ص404.

48_سورة الحديد : 12.

49_ الميزان في تفسير القرآن ، ج10، ص120ز

50- سورة الحديد:13.

51_المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير ، ص45.

52_ سورة الحديد : 13.

53_ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ،ص497.